مجلة كلية الشرطة للعلوم الامنية والمجتمعية
المجلد (الأول) العدد (الاول) كانون الاول لسنة ١٤٤٦ هـ ـ ٢٠٢٤ م

المراقبة ومنهجية جمع المعلومات "دراسة تحليلية"

Surveillance and data collection methodology: an analytical study

الباحث
سعد عباس خلف كنيدي
المديرية العامة لشؤون المخدرات والمؤثرات العقلية
ماجستير انثروبولوجيا (علم دراسة الانسان)
الايميل Antro82@gmail.com

Researcher Name
Saad abbas khalaf kennedy
General Directorate for Narcotics and Psychotropic Substances Affairs
Master's Degree in Anthropology (the study of humans
Email: Antro82@gmail.com

١٤٤٦ ٢٠٢٤

الملخص:

يتضـــمن هذا البحث تفســـيراً علمياً لمنهج الاثنوجرافيا والأدوات الاخرى، وتوضـــيح لكيفية عمل ادواته، كالملاحظة والملاحظة بالمشـــاركة، أي كيفية جمع البيانات والمعلومات وتفسـيرها. كما يحاول الباحث ان يضع مقاربة بين المراقبة الامنية التي تستهدف في اغلب الأحيان الافراد والجماعات الاجرامية المسؤولة عن زحزحة الامن المجتمعي، وبين الملاحظة للباحثين في العلوم الإنســـانية التي تحاول دراســـة الظواهر الاجتماعية ومحاولة الســـيطرة عليها، او تفســـيرها في بعض الاحيان، فضـــلاً عن معالجة المشـــكلات المجتمعية عن طريق العلوم الإنسـانية من خلال أدوات منهج الاثنوجرافيا، وهذا الامر استدعى ضـرورة التوقف ملياً عن منهجية الانثروبولوجيا ونشـــاتها التاريخية، واشـــتراطاتها المنهجية، وكيف وظفت او اســـتخدمت الملاحظة والملاحظة بالمشـــاركة، فضـــلاً عن التوقف عند امثلة ميدانية متعددة تشـــابه عمل المراقبة الأمنية.

Abstract:

This research includes a scientific interpretation of the ethnography method and other tools, and an explanation of how its tools work, such as observation and participatory observation, i.e., how to collect and interpret data and information. The researcher also tries to draw a comparison between security surveillance, which often targets individuals and criminal groups responsible for undermining community security, and observation by researchers in the humanities who attempt to study social phenomena and attempt to control them, or sometimes explain them, in addition to addressing societal problems through the humanities using the tools of the ethnography method. This necessitated a careful examination of the methodology of anthropology, its historical origins, and its methodological requirements, and how observation and participatory observation were employed or used. Additionally, it required considering multiple field examples similar to the work of security surveillance.

المقدمة:

ان العلوم الإنسانية لم تستقم وتثبُت آرائها إلا بعد ان تم وضع منهجية محددة لدراستها، هكذا هو حال علم الانثروبولوجيا فقد كان مرجعيتها الرئيس هو المنهج الاثنوجرافي، او منهج الملاحظة بالمشـــاركة كما يسميه البعض، وعلى الرغم من قِدم الملاحظة كأداة لجمع المعلومات، إلا انها أصبحت أداة علمية بعدئذ، ولم يكن هنالك منهج معين يحتضـــن مســـألة الملاحظة، إلا من خلال منهج الاثنوجرافيا الذي تمت بلورته منذ حوالي قرن من الزمن. اذ كان هذا المنهج مســـتخدماً في اغلب العلوم الاجتماعية، لكن أُعِدَّ المنهج الرئيس في علم الانثروبولوجيا فيما بعد.

ان موضوعة بحثنا هي الإعداد النظري للدخول الميداني المناسب لاستخدام منهج الاثنوجرافي في عملية المراقبة، عن طريق دليل أساسي مُنهج تحت شروط امنية ترتضيها أجهزتها، لان عملية المراقبة تنشأ في اغلب الأحيان ضـمن ظروف قاسية، وعلى عجل، ومن دون معرفة المراقِب بشـروط الملاحظة، لذا حاولنا اعتماد هذا المنهج لأجل ان يســمح للعاملين على هذا الشـــأن الأمني من الســير وفق الضـــوابط والتجارب العلمية التي تأســـس عليها منهج الاثنوجرافيا، لهذا فقد برزنا في احدى محاور بحثنا هذا على المراحل التاريخية التي تطور بها المنهج تارةً، ومن ثم التركيز على كيفية اســـتخدام ادواته، وطرق جمع المعلومات تارةً اخرى، فضلاً عن شرح عملية العسكرة مع الجماعات المستهدفة معلوماتياً.

ان الهدف من بحثنا هو تقديم قواعد تطبيق الملاحظة واســـاليبها ضـــمن منهج الاثنوجرافيا، لأجل وضـــع "دليل عمل" يوضـــح لنا العلاقة بين الملاحظ والميدان المقصـــود (المراقِب والمراقَب)، وهو دليل تدريبي لتدعيم طريقة جمع المعلومات في الأجهزة الامنية، من خلال عملية الملاحظة، والملاحظة بالمشـــاركة. وكذلك تبيان كيفية استخدام الأدوات البحثية واستغلالها بأسلوب علمي على كافة المستويات.

وقد اســـتعان الباحث بالمنهج التحليلي في انجاز الدراســـة والذي يعتمد على دراســـة وتفكيك النصـــوص، والمفاهيم، والأفكار لفهم العلاقات بينها واستنتاج نتائج جديدة أو ربطها بسياقات معينة وتتضـمن خطوات تطبيق المنهج التحليلي تحديد المشـــكلة البحثية، وجمع المواد والمصـــادر، وتحليل النصـــوص والمفاهيم، التفسير والاستنتاج، وقد يستخدم المنهج الأدوات التالية:

- تحليل النصوص: قراءة نقدية للنصوص والمصادر المتعلقة بالبحث.
- المقارنة: دراسة العلاقات بين المفاهيم المختلفة (مثل مقارنة المراقبة الأمنية والأثنوجرافيا).
- الاستنتاج: بناء فرضيات أو نتائج جديدة تستند إلى التحليل.

ومن مميزات المنهج التحليلي، انه يناســـب الدراســـات النظرية التي لا تعتمد على العمل الميداني. كما انه يسمح بالتعمق في المفاهيم والنظريات وربطها بسياقات جديدة.

المحور الأول:

تمهيد:

يلتزم الباحثون وقبل كل شيء بقواعد اكاديمية، تُيسر لهم الطريق في المضي ببحث معين، لذا لابد لنا من المرور على بعض التعاريف المفتاحية لبحثنا هذا، حتى نُدرك المنهجية المتوخاة وصلاتها بمسألة المراقبة الأمنية.

المنهج:

يعتبر المنهج مجموع العمليات الفكرية التي يسعى أي مختص الى بلوغ الحقائق التي يتابعها ويثبتها ويتحقق منها (غراوتيز، ١٩٩٣، صفحة ٩). فالمنهج يُعتبر الطريقة او القاعدة التي يستند عليها الباحث اثناء عملية البحث للوصول الى مراحل تفسيرية متقدمة

الانثروبولوجيا Anthropology:

علم دراسة الانسان، طبيعياً واجتماعياً، وحضارياً. والمصطلح منحوت من كلمتين (يونانيتين) هما Anthropos (انسان) و Logos (علم). وتتكون الانثروبولوجيا من وجهة النظر البريطانية من: الانثروبولوجيا الطبيعية والانثروبولوجيا الاجتماعية، التي تضم (الانثروبولوجيا الحضرية) كفرع من فروعها، و(الانثروبولوجيا التطبيقية) و(الاثنولوجيا) (سليم، ١٩٨١، صفحة ٥٦).

المراقبة Surveillance:

في اللغة تأتي من فعل (رَقَبَ)، رقب الشيء أي يراقبه وراقبه وحرسه (ابن منظور). وقد عُرّفت المراقبة بأنها وضع شخص او مكان معين تحت المراقبة، لأي سلوك فردي او جماعي من قبل الافراد من شأنه ان يُحدث خللاً في مجتمع ماه او غير متوافق مع قانون ذلك المجتمع، من دون ان يلاحظ احد تلك المراقبة، اي بصورة لا يمكن معه الإحساس بوجود هذه المراقبة (احمد، ٢٠١٦، صفحة ١٦٨). ويرى اخرون بأنها وضع شخص او مكان او أي شيء معين تحث الملاحظة من قِبَل رجال التحريات والبحث الجنائي، وتسجيل كل ما يحدث من تصرفات على نحو لا يمكن معه الإحساس بوجود مراقبة سرية (العتبي، ٢٠٠٧، صفحة ٣٦).

اذاً هي تعتبر إحدى الطرق العيانية لجمع المعلومات التي غالباً ما تُركز على السرية دون الكشف عن المراقب لضمان سلامته، ولأهميتها فإنها تتبّع الحدث او النشاط قبل الحدث واثناءه، لأجل كشف كل مراحله السرية.

بناءً على ما تقدم نجد إن المراقبة تتضمن موضوعة البحث الجنائي فيما يخص الجرائم لأجل محاولة معرفة تحركات المجرم (قبل حدوث الجريمة او بعدها) وهذا لا يشكل فرقاً عن موضوعنا الرئيس (الملاحظة) فقط

في هدف المراقبة كونها تستهدف اشخاصاً او مكاناً واشياءً وجمع معلومات عنهم وتعتمد على السرية التامة، كذلك فإن الملاحظة الاثنوجرافية، فإن هدفها الأخير هو رصد الحدث وتفسيره وتحليله من خلال معاينة الظواهر او المشكلات الاجتماعية ضمن مجتمعات او دراسة جماعات، ومن ثم فإن الملاحظة والمراقبة هما وجهان لعملية واحدة تتوخى الرصد والتحليل أياً كان نوع العملية جنائية اكانت ام اجتماعية عامة.

ما الأثنوجرافيا؟

الأثنوجرافيا من أصل اللغة اللاتينية "Ethnography" مكونة من كلمتين (اثنو – غرافيك) (Ethno) تعني شعب والأخرى (Graphy) وتعني وصف او صورة، بذلك تكون "وصف لثقافات الشعوب".

في كتاب (ثقافة الشرطة وطريقة عملهم في بريطانيا) يتطرق يونغ (Young) للأثنوجرافيا على انها طريقة واداة لفهم أساليب مجتمع او جماعة ما في الحياة الاجتماعية، من خلال معرفة افكار أعضائه ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكهم، وما يصنعونه من أشياء يتعاملون معها ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة في الوضع الطبيعي الحياتي من جانب الباحث، دون الاستعانة بمترجم حتى يستطيع فهم حياتهم الاجتماعية بدقة أكبر. ومن جهة أخرى يرى مصطفى تيلوين Mustafa Talwin بأن الأثنوجرافيا منهج لبناء الحقائق، واستنتاج الدلائل والبراهين من المشاهدة الفعلية للظاهرة* المدروسة ويتطلب هذا المنهج من الباحث معاينة فعلية للميدان (باحثون، ٢٠١٨، صفحة ١٣٨).

قد يشار الى الأثنوجرافيا بأنها دراسة متكاملة الجوانب لجماعة ما، حيث انها دراسة الثقافة والتنظيم الاجتماعي**في جماعة معينة او مجتمع محلي***، فالأثنوجرافيا تدل على كل تجميع للبيانات في علم الانثروبولوجيا ووضع تحليلات لشعوب او بيئات او أساليب حياة خاصة (كلاهون، ٢٠١٢، صفحة ٦٩). وفي طياته يتضمن هذا المنهج ادوات لمعرفة وفهم أساليب وسلوك الجماعة المستهدفة للمراقبة سواء اكانت خفية عن انظار تلك الجماعة، او لا من خلال ممارسة دور من أدوارها. فهي تتضمن مراقبة الناس في

---

* – الظاهرة الاجتماعية هي عبار عن نماذج من العمل والتفكير والاحساس التي تسود مجتمعاً من المجتمعات والتي يجد الافراد أنفسهم مجبرين على اتباعها في عملهم وتفكيرهم (بدوي ا.، ١٩٨٦، صفحة ٣٩٢).

** –التنظيم الاجتماعي Social Organization عملية اعتماد متبادل بين أجزاء ومكونات المجتمع بحيث تؤدي تلك الأجزاء والمكونات وظائفها بشكل منتظم ومتناسق. ويستعمل المصطلح في الاغلب، بمعنى (البناء الاجتماعي) و(سيادة النظام في المجتمع). (سليم، ١٩٨١، صفحة ٩٠٠)

*** –مجتمع محلي Community جماعة يتميز افرادها بهوية معينة، ولهم مصالح وقيم محددة، ويقوم بعضهم حيال بعض بأدوار مقررة وهذا المفهوم ينطبق على القرية والنادي. (سليم، ١٩٨١، الصفحات ١٩٢–١٩٣).

بيئتهم الخاصة لفهم تجاربهم وممارساتهم اليومية، ويمكن ان تعطي هذه المراقبة نظرة متعمقة في سياق او ثقافة معينة، كما انها تستخدم الأثنوجرافيا تقنيات بحث مختلفة، كالملاحظة، وتدوين الملاحظات الميدانية، والمقابلات، وتحليل الوثائق، والدراسات الاستقصائية، والتصوير، وقد تم تطوير هذا المنهج في الآونة الاخيرة، بعضها يشمل الأساليب الرقمية(الإحصائية)، وسوف نتحدث عن الموضوع في الصفحات المقبلة.

النشأة التاريخية للأثنوجرافيا:

حسب فيليب لابورت (Philip Laporte) ان استخدام كلمة أثنوجرافيا للمرة الأولى كان عام ١٧٧٢م لدى المؤرخ الألماني شلاتزر (Schlazer) لكي تُعرّف عن منهج العالم لينيّ linne* لدراسة تاريخ الشعوب الخاص) وللأثنوجرافيا والاثنولوجيا** تتطابق مع نمطين من خلال القرن الثامن عشر سبيلين مختلفين؛ نمط علوم الطبيعة –علوم الاحياء مع لينيي ولامارك او علوم الجمادات مع نيوتن ولافوزيه بالإضافة الى كثيرين غيرهم، ثم النمط الادبي، الذي قدمت قصص الرحلات والتجارب الفلسفية او السياسية. وكما برهن وولف ليبنيز (Wolf Lepenis) عام ١٩٩٠م فإن هذين النمطين سوف يتواصلان فيما بعد الى تشكيل ثقافتين ستتجاذبان العلوم الاجتماعية حتى تنتهيان الى علم جديد. ويظهر تأثير النمط العلمي بوضوح في مشروع شلاتزر الذي يقترح منهجاً لوصف وتصنيف الشعوب شبيهاً بذاك الذي طبقه لينيي على الأنواع الحيوانية (لابورت، ٢٠٠٤، صفحة ٢٧).

في مقابل ذلك فإن الباحثين على نوعين؛ نوع يعمل من داخل ماكتبهم، أمثال جيمس فريزر، ايميل دوركهايم (١٨٥٨–١٩١٧)، مارسيل موس (١٨٧٥–١٩٥٠)، لوسيان ليفي بريل (١٨٥٧–١٩٣٩)، الذين جمعوا المعلومات وقارنوها وألفوا بينها، مستفيدين ايضاً من الملاحظات التي جمعها الغير في الحقول الغربية (أي حقول الدراسة الميدانية). اما الذين توجهوا الى الدراسة الحقلية الميدانية مثل فرانز بواس (١٨٥٨–١٩٤٢) فقد جمعوا معلوماتهم من السكان الأصليين بمساعدة المخبرون، بينما برنزلاو مالينوفسكي (١٨٨٤–١٩٤٢) فقد اعطى أهمية كبرى للاستقصاء المباشر في الموقع من دون توسيط احد، لقد جمع بنفسه المعطيات وحللها وقاسم الشعوب التي شاركها حياتهم حيث درس نظامها الاجتماعي، وبهذا يعتبر من مبتكري الأنثروبولوجيا الحقلية ومناهجها التي تقوم على الملاحظة بالمشاركة، هذا وقد صارت مناهج مالينوفسكي الحقلية نوعاً من النموذج المفروض وصارت الملاحظة المشاركة امراً يجب ان يسبق كل استقصاء وكل تأمل انثروبولوجي، وبعد نهاية الدراسة الحقلية المعمقة والمستمرة يمكن للاثنوجرافي ان يقدم نصاً من النوع

---

* – كارل فون لينيي (carl von linne) هو عالم طبيعة سويدي قام بتصنيف النباتات والحيوانات من خلال تحديد مزدوج يتميز فيه الكائن الحي بنوعه وجنسه. (لابورت، ٢٠٠٤، صفحة ٢٧).

** – علم مقارنة ثقافات الشعوب، لغة، سلالات، أي خصائص مميزة للأجناس من حيث الملامح الفيزيقية.

المونوجرافي (الدراسة الوصفية) (دورتيه، ٢٠٠٩، الصفحات ٩٨٧-٩٨٨). يحلل فيه الملاحظات التي جمعها لأجل ان يصوغ صورة عامة عن مجتمع بحثه.

كان مالينوفسكي **Bronisław Malinowski** أحد علماء الانثروبولوجيا الاجتماعيين الذي ذهب الى جزيرة (تروبرياند في غينا الجديدة) من (١٩١٥-١٩١٦م) من اجل المعايشة الميدانية ثم كرر الزيارات من (١٩١٧-١٩١٨م) وكانت غايته العيش مع تلك المجتمعات والاحساس بهم، وكان يشعر بأن الدارس الميداني لا بد ان يبدأ بأن يقطع المرء نفسه عن صحبة غيره من البيض (أي أبناء جلدته)، وان يبقى على اتصال وثيق بالأهالي وهذا الامر لا يمكن تحققه إلا من خلال المعايشة (بيبر و ليفي، ٢٠١١، صفحة ٣٨٨). ولملاحظة الاكتشافات الأولية للبحارة ورحلات الاستكشاف التي كانت دوافعها (اقتصادية او تجارية او استعمارية او تبشيرية) اعتمد افرادها على كتابة مذكرات شخصية دون ان يشير الى منهجية معينة، بل كانت ترتكز على امر معين ألا وهو المشاهدة والملاحظة (المراقبة) لأرض ومجتمعات جديدة تختلف عن مجتمعاتهم.

عندما قام الاوربيون بوصف القبائل والشعوب المحلية التقليدية في أمريكا وأفريقيا وأستراليا واسيا لعاداتهم، وتقاليدهم، وادواتهم، وكل ما يتصل بثقافتهم، بشقيها المادي والغير مادي، سارع الانثروبولوجيون بتبني هذه المعلومات كنموذج لمجتمعات تقليدية قدمت لهم صورة ما هو عليه الانسانية ما قبل التاريخ القديم، من خلال مقارنات لتلك الأدوات التي وجدت في المواقع الاثرية، وكذلك وصف لثقافة تلك المجتمعات التقليدية، ومحاولة معرفة الحركة التاريخية لتلك الشعوب.

لذا فقد كانت الاهتمامات الاثنوجرافية الأولى مهتمة بالمجتمعات التقليدية والبسيطة باعتبارها تمثل البذرة الأولى والاختلاف مع الاخر، وتطور الجنس البشري، وظهور نظريات عن نشؤ أصل الحضارات، ولا ننسى التحيز الأوربي في تلك الفترة الذي اعطى الأفضلية للرجل الأبيض واعلى من شأن المجتمعات الاوربية على حسابات المجتمعات التقليدية الأخرى، كما انها كانت لا تخلو من العمليات الاستخبارية لصالح تلك الدول، في محاولة للمعرفة ثقافتها والسيطرة على خيراتها.

في اجتماع الجمعية البريطانية لتقديم العلوم عام ١٩١٤م اصر مالينوفسكي على: " ان على المراقب ان يتخلى عن مكانه المريح على الشرفة، حيث يجمع بنصب خيمته وسط القرية، وزرع حديقته، وتبادل الهدايا، والاستماع الى المحادثات، والتغزل، والنقاش. فالتواريخ الشخصية والحميمة، ونزاعات الجران، واحساس المرء بالولاء او الكراهية لالتزاماته القانونية، تتوفر فقط للمراقب عندما يغمس نفسه في الحياة اليومية للقرية. فتلقّي الأصول ممن الخبراء لا يخبرك كيف يتمم لعب اللعبة. فالأطباء المشعوذون يختلفون فيما بينهم، تماماً كما يختلف الأطباء العاديون. ويميل الناس الى قول امر ما، ويفعلون امر اخر، اذ ان

"متى ما تمكن المرء من التملص من التزاماته من دون ان يخسر ماء وجهه او من دون خسارته لأي مكسب، فإنه يفعل ذلك؛ تماماً كما يفعل رجل الاعمال المتمدن" (سكوت، ٢٠١٢، صفحة ٣٥٥). لاشك ان مالينوفسكي وهو صاحب الفضل في انشاء الدعائم الأساسية للمنهج الاثنوجرافي من خلال اشتراطه المعايشة لتلك المجتمعات ومعرفة لغتها والمدة الزمنية المحددة لها... لكن كان ذلك في ما يخص المجتمعات المنعزلة والاثنية* المخلفة عن مجتمعاتنا، الان مجتمعاتنا الحضرية هي من تحتاج لتلك الدراسات فالحياة تطورت، وتعقدت، ونشأت مجتمعات شبه منعزلة وسط المجتمعات الحضرية الكبرى، وظهرت فيها ظواهر ومشاكل مجتمعية متعددة، تحتاج الى تفسير وتوجيه فلا بد من تطور الأدوات والوسائل لجمع البيانات والمعلومات وتحليلها، على اختلاف نوايا واهداف الاثنوجرافي، سواء اكانت اجتماعية، ثقافية، امنية (جنائية) او نحو ذلك.

ما بعد المجتمعات التقليدية:

بعد الفترة الكلاسيكية لدراسة المجتمعات التقليدية** بدأت مرحلة الدراسات الحضرية وأفضل من استغل هذا المنهج بالدراسات الميدانية الفعلية هي مدرسة شيكاغو. حيث بدأت الملاحظة فيها تحت توجيه وارشاد عالمي الاجتماع وليام إسحاق توماس (١٨٦٣-١٩٤٧م) William Isaac Thomas وروبرت إزرا بارك (١٨٦٤-١٩٤٤م) Ezra Park pde (جوبو، ٢٠١٤، صفحة ٨٦). حيث كانت مدينة شيكاغو عاصمة "ولاية إلينوى الامريكية تعاني من مشاكل اجتماعية وما تلاها من فترة الكساد العظيم حيث امتدت مساحة تلك المدينة وتوسعت بشكل ضخم عقب نموها وتطورها السريع من النصف الثاني من القرن العشرين بسبب التدفق الضخم للمهاجرين القادمين من المانيا وروسيا وايرلندا وبولندا وإيطاليا من جعلها مادة يهتم بها الباحثون آنذاك حيث أخفقت الوكالات الحكومية في ذلك الوقت من إعطاء بيانات وافية او احصائيات عن المشاكل التي تعاني منها تلك المدينة، وبذلك قام بارك بدفع طلابه وحثهم على مواجه الصعاب والنزول الى شوارع المدينة ومعايشة الناس وترك الجلوس خلف المكاتب، وان يرصدوا تحركات الافراد في جمع تجمعاتهم الغنية والفقيرة وعدم الاكتفاء بما يقرؤونه (جوبو، ٢٠١٤، الصفحات ٨٨-٨٩).

---

* الجماعة العرقية او الاثنية Ethnic Group جماعة اجتماعية تكون جزء من جماعة حضارية كبيرة، وتَدّعي، او تُمنح مركزاً خاصاً بسبب امتيازها بسمات، او صفات دينية، او لغوية، او طبيعية، او قومية، او جغرافية، خاصة بها، مثل الأقليات. (سليم، ١٩٨١، صفحة ٣١٣).

** - المجتمعات البدائية او التقليدية Primitive society مصطلح انثروبولوجي يطلق على المجتمعات صغيرة الحجم نسبياً او قليلة الافراد، والتي تقيم بمساحة محدودة، وتمتاز ببساطة حياتها الفنية الاقتصادية وقلة التخصص في الوظائف الاجتماعية (بدوي ا.، ١٩٨٦، صفحة ٣٢٥).

كانت كلمات بارك لطلابه اشبه بخطبة ما قبل الحرب لإرسال جنوده الى معركة سبق وان خسر فيها رفاقهم، فقد كان فيها تشخيص دقيق لما يحدث آنذاك من تقهقر من قبل الوكالات الحكومية التي لم تستطع وضع معالجة او تشخيص جاد لما يحدث لتلك المدينة آنذاك. فضلاً عن ان الاهتمام الجاد بأداة الملاحظة بالمشاركة باعتبارها الاداة الأهم الذي ينبغي على الباحث او "المراقب" ان يكون من خلالها على تماس مباشر مع الجماعة المستهدفة من دون وساطة.

من الملاحظ ان اهم ما ميّزَ مدرسة شيكاغو هي البحوث الامبيريقية** الى جانب التخصص الحضري. وهذا التقليد نتيجة عوامل فكرية واجتماعية من حيث النمو الحضري بتلك المدينة والمشاكل التي تعاني منها. لقد كان للتحقيقات الاجتماعية ولدراسة شارل بوث **Charles Booth** عن **(العمل والعمال في لندن)** ولتعاليم التفاعلية الرمزية ودورها الواضح في توجيه علماء اجتماع جامعة شيكاغو لتفضيل الميدان، والى جانب ذلك لا ينبغي ان ننسى الدور الهام الذي لعبته المناهج الانثروبولوجية، التي كانت تعتمد في دراستها على كم كبير من الملاحظات والمعطيات المستقات من الواقع، وبهذا الصدد يقول روبرت بارك: **" الى حدود اليوم فإن الانثروبولوجيا، (علم الانسان)، قد كرست نفسها لدراسة الشعوب التقليدية. ولكن الانسان المتحضر هو ايضاً موضوع للبحث لا يقل أهمية، هذا بالإضافة الى كونه أسهل بالملاحظة والدراسة. ان الحياة والثقافة الحضريتين، اكثر تنوعاً واكثر دقة، واكر تعقيداً. وان المعطيات الأساسية هي نفسها في الحالتين: فنفس مناهج الملاحظة المتأتية التي استعملها انثروبولوجيون أمثال فرانز بواس (F. Boas) وروبرت لوي (R. Lowie) لدراسة حياة ونمط عيش هنود امريكا الشمالية يمكن تطبيقها وبطريقة اكثر خصوبة لدراسة العادات والمعتقدات والممارسات الاجتماعية، والتصورات العامة للحياة التي تهيمن في حي ليتل الإيطالي (Little Itally)، او حياة حي واشنطن سكوير (Washington Sgoare) بنيويورك الأكثر اناقة"** (المالكي، ٢٠١٦، الصفحات ٨٤-٨٥).

تبقى الأثنوجرافيا وادواتها هي نفسها التي أُستخدمت في السابق مع تطور الزمن وتنوع المجتمعات والثقافات اذ ان الاضافات العلمية لبلورت هذا المنهج نفسها هي التي تستخدم الحواس والتي تشترط الوجود البشري في ميدان الدراسة، فضلاً عن احتكاك المراقب بالجماعة المستهدفة هو ما يُدعّم معرفته لما يدور في تلك المجتمعات. بعد هذه الاطلالة البسيطة عن تطور منهج الاثنوجرافيا لابد لنا من معرفة تفاصل هذا المنهج والأدوات التي يستخدمها وما مميزاته.

الأثنوجرافيا والعمل الميداني:

- **متى تكون الاثنوجرافيا مناسبة للعمل الميداني؟**

أكد علماء الاجتماع على ان المنهج الاثنوجرافي بأنه طريقة يتم من خلالها وصف حياة الشعوب او ثقافة مجتمع ما، فمن خلال هذا المنهج يمكن ملاحظة السلوك الإنساني في بيئته ووضعه الطبيعي، ومن

** - الامبيريقية أي التجريبية، Empiricism ،مذهب فلسفي يقّيم المعرفة على التجربة والملاحظة التي تعتمد على ما تدركه الحواس (بدوي ا.، ١٩٨٦، صفحة ١٣٢).

خلاله يصل الى معان السلوك للوصول الى فهم للثقافة التي تمارسها مجموعة من الافراد، اذ تكون الاثنوجرافيا حينئذ طريقة مهمة لبلوغ الهدف من خلال أدوات يمكن استخدامها كالملاحظة للسلوكيات من خلال التفاعل مع الاخرين في موقع بحثك. لذا من جملة الأسئلة التي يطرحها الاثنوجرافيون تكون من النوع التالي: **كيف يرى الافراد عالمهم؟ ماهي حياتهم (رؤيتهم في تطورها)؟ كيف يفهم أعضاء ثقافة معينة احدى العادات الاجتماعية؟ وما شابه ذلك** (بيير و ليفي، ٢٠١١، الصفحات ٣٩٦-٣٩٧).

تبدأ الاثنوجرافيا في العادة بمشاهدة أولية عن الميدان، تكون هذه المشاهدة ضرورية ونقطة انطلاق للباحث (المراقِب) لكي يتمكن ان يرسم صورة ذهنية أولية عن ما سوف يتم مراقبته. كذلك يمكن لها ان تحدد ما اذا كان الميدان يتحمل الملاحظة بصورة علنية او بصورة خفية (سرية). نستطيع ان نقول ان المشاهدة أساس المنهج الاثنوجرافي فقد لا يتقبل المجتمع او الجماعة المدروسة الغرباء والأشخاص الذين يسلطون عليهم الأضواء ممن يمارسون نشاطات غير قانونية او جماعات مغلقة على نفسها ثقافياً، فإن كشف شخصية المراقب من اللحظة الأولى يصبح من المتعذر عليه العودة لتحقيق الهدف الأول لهذه المراقبة.

اكد جيامبيترو Giampietro Gobbo عن وجود استراتيجيتين بحثيتين **للأثنوجرافيا:** الملاحظة غير المشاركة والملاحظة المشاركة، فيكون الباحث في الأولى على بُعد مسافة معينة من دون ان يتفاعل معها (جوبو، ٢٠١٤، صفحة ٢٨). من الطبيعي ان الباحث في ميدانه يقدر الظروف التي تسمح له بمدى مراقبة الناس عن بعد او ملاحظتهم اثناء ممارساتهم لنشاطاتهم دون التأثير عليها، ومن الممكن التشارك معهم في أعمالهم اليومية، أي لا يوجد فاصل بين الاستراتيجيتين؛ بل تبقى رؤية الملاحظ وموضوعيته هي من يضع أساس المراقبة الفعلية، وهي التي تحدد الأولويات في العمل الميداني.

وسائل جمع المعلومات لمنهج الاثنوجرافيا

نقول ان شخصاً ما قد ذهب الى العمل مبكراً، وكان مُجِداً في عمله، وفي لحظة ما اصبح كسولاً لأسباب معينة قد ألمّت به، لكن هو في اغلب حالاته (عملي وخدوم، يساعد الاخرين...) كل ذلك عبارة عن ملاحظات تقييمية لاستخدام الأسلوب العلمي للملاحظة او المراقبة وهي ذاتها لها وسائل في جمع البيانات في داخل الجماعة المستهدفة. إن للمنهج الاثنوجرافي اهم أداة في جمع المعلومات ألا وهي الملاحظة بجميع الحواس لكي تكتمل الصورة المناسبة. فعصير العنب الأسود هو ذاته عصير التوت في الشكل، لولا اشتراك حاستي البصر والشم والذوق، وحتى اللمس كونه سائلاً، لما عُرف ما في ذلك الاناء.

الملاحظة Observation:

تعتبر الملاحظة احدى الأساليب التي يستعملها الباحث (المراقب الميداني) لأجل دراسة الجماعة المستهدفة. تقوم على ملاحظة افراد الجماعة اثناء تأديتهم أعمالهم اليومية، او حضور المناسبات العامة،

كالحفلات، والاجتماعات، وحلقات الرقص، ومراسيم دفن الموتى، والجماعات الدينية، وتسجيل مقاطع الحوار الذي يجري في حالات لها دلالاتها الاجتماعية، ونماذج الاغان والتراتيل وما شابه ذلك وقد تكون مصحوبة بمشاركة وبذلك تدعى (ملاحظة بالمشاركة) (سليم، ١٩٨١، صفحة ٦٩٠). أي الحضور الفعلي فيكل هذه المناسبات من قبل المراقب (الملاحظ). ان مراقبة الناس وحياتهم اليومية وبالخصوص المجتمعات في الشرقية المحافظة منها وكذلك الشعبية من الصعوبة بالإمكان ان يأخذ الملاحظ عمله بأريحية دونما يُلفت انظار المجتمع حوله وهذ غير محبذ لدى اغلب الافراد فمن الضروري إيجاد طريقة مناسبة للملاحظ دون التأثير على سلوك الافراد، أي مراقبتهم من دون ان يشعروا بذلك.

لذا ففي الملاحظة بالمشاركة Participant Observation: يحاول المراقب فيها ، قدر استطاعته ان يصبح فرداً من الجماعة التي يدرسها بان يشارك مشاركة تامة ومستمرة في الفعاليات اليومية كافة، فيتسنى له بذلك ان يدرس الجماعة من الداخل. وهذا ما ابتدعه لنا مالينوفسكي فهذه الاستراتيجية تقلل من ردود فعل المجتمع ضد الملاحظ او الدارس إذا اتقن لغة المجتمع المدروس، استطاع ان يفهمه بشكل أعمق وان يجمع معلومات أكثر ، وان يحللها تحليلاً دقيقاً (سليم، ١٩٨١، صفحة ٧٢٠).

من جهة أخرى ترى د. مادلين إن الملاحظة تُنظم على ثلاث درجات (غراوتيز، ١٩٩٣، الصفحات ٦٦-٦٧):

١. **المشاهدة** اولاً وتكون في العادة عشوائية غير منظمة، وتكون توجيهية لمبتنيات البحث.
٢. **الملاحظة المهيئة** وهي منظمة، فالباحث يجمع المعطيات في الميدان محدد مسبقاً.
٣. **الملاحظة المسلحة.** تلك حالة استخدام الاختبارات او الملاحظات المراقبة، يستطيع فيها الملاحظ احياناً ان يرى دون ان يُرى وهذان النمطان الاخيران من الملاحظة يحلان غالباً، في العلوم الاجتماعية كفعل في مرحلة التعمق من الفرضية او التجريب. أي تجريب واختبار فكرة ما، مثل طرح رأي لأجل معرفة الراي العام للجماعة ما، وتتم كعملية استدراجيه لأجل جمع البيانات او المعلومات.

اذاً ان عملية الملاحظة لدى المراقب هي وسيلة لجمع المعلومات التي أسس لها مسبقاً وفق معايير محددة فقد يكون المراقب مستهدفاً نشاطاً بعينه او سلوك معيناً او ظاهرة بأكملها.

ومن الجدير بالذكر ، ان الملاحظ لا يستخدم حواسه كاللمس والشم والسمع والنظر والذوق... فحسب بل أي وسيلة يمكن من خلالها مساعدة الملاحظ في جمع المعلومات، ومنها الأدوات التكنلوجية كـ(الكاميرا، التسجيل الصوتي، الصحف، الكتب،...) كما من الضروري التأكد من كتابة المعلومات اول بأول ويومياً لكي لا يُنسى ما تم مشاهدته، ومن الممكن تسجيل الملاحظات الآنية إن اقتضت الضرورة على شكل "مسودات" او ملاحظات الكترونية (عن طريق الموبايل) ولو بكلمات مفتاحية (رمزية) لكي تحيل الباحث الى الفكرة الرئيسية الى حين الرجوع لتفريغ البيانات.

وتقسم الملاحظة من حيث دور الباحث الى:

١. **الملاحظة من دون مشاركة:** يقوم الباحث بأخذ مكان يراقب منه السلوك او الظاهرة او الاحداث دون ان يشارك افراد المجتمع الأدوار التي يقومون بها. وممكن ان يستخدم الكاميرا دون ان يلاحظ المبحوثين ذلك.
٢. **الملاحظة بالمشاركة:** وفيها يكون للباحث حضور إيجابي وفعال، بمعنى ان يُشغل بنفسه احد أدوار المجتمع*، ويشارك افراد الجماعة في ممارساتهم وسلوكياتهم المراد مراقبتها وفهمها. كالعيش مع السجناء، وكأنه سجين من دون ان يعرفوا ذلك من الباحث (خوفاً من ان يغير المبحوثون سلوكهم) (عليان و غنيم، ٢٠٠٠، صفحة ١١٤).

* - الدور، Social Role السلوك المتوقع من الفرد داخل الجماعة. او ما يمارسه، يُنظر (بدوي ا.، ١٩٨٦، الصفحات ٣٩٥-٣٩٦).

المحور الثاني :

طريقة تسجيل البيانات:

يتم تدوين البيانات المأخوذة بطريقة المراقبة عن طريق كتابة الباحث للأمور التي لاحظها باستخدام بعض آلات التسجيل. اذ هي تساعد الباحث على مشاهدة الحدث لمرات عدة. كما تساعد ايضاً على التقليل من نسيان الباحث لبعض الأمور فيها لو سجل بياناته بنفسه. اما بالنسبة للمأخذ على استعمال الكاميرات في انه إذا ادرك مجتمع الدراسة او الافراد وجود آلة تصوير او تسجيل فإن ذلك قد يدفعهم الى تغيير تصرفاتهم واصطناعها او اضمارها فلا يكونون في الوضع الطبيعي (عبيدات، ابو نصار، و مبيضين، ١٩٩٩، صفحة ٧٩) وهذا يختلف باختلاف موضوعة البحث وكذلك الجماعة المدروسة وكذلك الافراد المراقبون من قبل الملاحظ، فالمواقف والاحداث هي كفيلة بتغيير طريقة المراقب. فقد لاحظنا من خلال الدراسة الميدانية للجماعة في دراستنا في منطقة السليمانية سلوك الافراد في بعض الفيديوهات المسجلة لديهم، لجزء من الطقوس اليومية وبين ما شاهدناه على ارض الواقع، فقد وجدنا ان الافراد كانوا يحاولون ان يظهروا بأفضل حال وأجمل صورة، بينما كانت الصور البعيدة دون معرفتهم وفي وسط اجتماعي اخر لممارساتهم ولنشاطاتهم الدينية، كانت أكثر طبيعية، وأكثر تفسيراً للحدث الطقوسي، حيث شوهد التوتر والاندماج، والعصبية، ومدى المقبولية للمراقبون لمّا ظهر عليهم التعب والإرهاق ولما جرى في يومهم آنذاك*. كما ان طول فترة تواجد الباحث او المراقب في الميدان يجعل منهم في غفلة لبعض الوقت الذي من الممكن ان تعطي تلك اللحظات فرصة للباحث في رصد الحدث على طبيعته، نستطيع ان نقول: ان الباحث والهدف من بحثه هما من يفرضا الوسيلة المناسبة لتسجيل الحدث سواء اكان ظاهراً ام مضمراً، فضلاً عن ذلك ان الرصد بتلقائية يكشف مكنونات الافراد بنحو أوضح واكّمل (وهذا لن يجده الباحث إلا في التموضع ومشاركة الحدث).

الشروط اللازمة للملاحظة:

١. فيما مضى كانت الملاحظة مقتصرة على الاستخدام في مجال العلوم الطبيعية الى ان امتدت لتشمل الدراسات الاجتماعية والإدارية والجنائية، وكذلك دراسات عديد استخدمت الملاحظة لدراسة سلوك الافراد كتصرفات العاملين ومستوى اداءهم تحت ظروف ملاحظة مختلفة، وردود فعلهم حول منتج معين والجماعات المنعزلة والأسواق والجماعات الفرعية وغير ذلك. لذا يُشترط في الملاحظة عدة أمور ؛ **الانتباه** أي التهيؤ الذهني للباحث لكي يُحس بالمثيرات العديدة التي تحيط به. **والاحساس**

* ـ بحث قدمه الباحث بعنوان "الزرادشتيون دراسة انثروبولوجية في مدينة السليمانية" جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في كلية الآداب الجامعة المستنصرية.

بتلك المثيرات إن كانت على شكل صوت او رائحة او مذاقات... الخ. وفي النهاية **الادراك** الذي يكون المرحلة التفسيرية للخطوات السابقة، فمن خلال انتباه الباحث واحساسه بالمثيرات الخارجية يمكن ان يُدرك ما يلاحظه. (عمر، ٢٠٠٩، الصفحات ١٠٠-١٠١).

مسافة المراقب والانغماس في الميدان

نقصد بالمسافة هي مدى قرب الملاحظ من مصدر المعلومة فقد يتخذ المراقب مكاناً غير ذات أهمية وهذا يحث في العادة في البداية لحين ان تُرصد الامكنة المهمة لدى الملاحظ بالخصوص عندما تكون عملية المراقبة لمدد محددة ولنشاط خاص او سلوك معين.

إن هدف البحث الاثنوجرافي هو الوصول الى فهم عميق للطريقة التي يتبعها الافراد المنتمون الى الثقافات المختلفة والثقافات الفرعية في إدراك معنى واقع حياتهم التي يعيشونها. فالمعنى الحرفي لكلمة الاثنوجرافي هو الكتابة عن الثقافة. فإن كان تركيز مالينوفسكي على العسكرة في المجتمع المدروس فإن هنالك من الاثنوجرافيون الذين يراقبون المجتمعات المدروسة من الخارج عن طريق تقديمهم وصفاً مكثفاً أمثال العالم (غيرتز Geertz ١٩٧٣) حيث يقدمون صوراً تفصيلية لما في ثقافة ما او ثقافة فرعية ما، او جماعة ما، من ممارسات وعادات الحياة اليومية ويسجلون ويحللون البناءات الاجتماعية في تلك المجتمعات واعطاء أهمية الى حياتهم الدينة والعائلية والسياسية والاقتصادية (بيير و ليفي، ٢٠١١، صفحة ٣٨٨).

أكد الاثنوجرافيون على المسافة باعتبارها الأساس في المنهج الاثنوجرافي الذي يعتمد على المشاركة؛ ان التشارك بشكل واسع يمكن ان يحيل اتخاذ المسافة اللازمة الى الموضعة **(أي جعل له موضع او مكان مع الجماعة)** ام التشارك القليل فلا يسمح بالخروج عن النظرة الاثنية المركزية* والسطحية كما يجعل الفهم من الداخل صعباً (دورتيه، ٢٠٠٩، صفحة ٩٨٧). تبقى مشاركة الباحث في الحياة اليومية لدى الجماعة المستهدفة على وضعها الطبيعي، يقلل من كشف المراقب بالخصوص اثناء الملاحظة الخفية (السرية) كممارسة احد الأدوار او مزاولة مهنة معينة او عمل معين حتى لو كانت تلك الممارسة غير مطروقة او متعارف عليها هو امر كفيل بعدم جذب انتباه الافراد لما يدور في خلد المراقب، وكذلك عدم ملاحظتهم لتحركات المراقب حتى وان كانت غريبة بعض الشيء، وان حصل فمن الممكن ان تُفسر على انها أمور غير مهمة. اما لو كان دخول الملاحظ بصورة عشوائية وملفته للنظر ويبدأ بالتساؤل دون تمحيص، سوف يُنظر له بصورة مريبة وهذا غير مرتجى من عملية المراقبة.

ويتساءل دورتيه عن كيفية ان يكون الفرد جزءاً من مجتمع من دون ان يكون فيه بالفعل؟ كيف ان يكون الاثنوجرافي على مسافة معينة وان يكون ضيفاً؟ قد تبدو المراقبة المشاركة شكلاً من اللعب المزدوج او الانشطار. ويستدرك قائلاً: **وبالواقع فهي تبقى النموذج المثالي للاستقصاء الحقلي. وهي نادر ما تُمارس. هذا وقد**

اعتبر جان كوبان " المراقبة بالمشاركة على طريقة مدرسة شيكاغو، فهي تمتاز بصفة اسطورية، لان الأبحاث التي عرفت انغماساً طويلاً في الحقل قليلة جداً (لا تتجاوز ٣٠% كحد اقصى)". فبينما مجرد التواجد، والمشاركة الكلية، ثمة العديد من الأدوار. (دورتيه، ٢٠٠٩، صفحة ٩٨٨).

يلتزم الاثنوجرافيون بالنزول الى الميدان الحقيقي الذي ينوون دراسته ويتقربوا من الأنشطة اليومية للافراد المبحوثين، ويتطلب هذا الاقتراب الى حدود اجتماعية وجسدية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية لهؤلاء الافراد وانشطتهم... فالأنثروبولوجي ينشد الانغماس العميق في حياة الاخرين لكي يفهم خبراتهم والمغزى منها. ويستطيع الباحث الميداني (المراقب) بواسطة هذا الانغماس ان يرى من الداخل كيف يمارس الناس حياتهم، وكيف يؤدون انشطتهم المعتادة على مدار اليوم وما الذي يُعدونه ذا معنى (إيمرسون، فريتز، و شو، ٢٠١٠، صفحة ٥٤).

ان التعايش مع الجماعة هو ليس مجرد انغماس بل هو مشاركة الجماعة المستهدفة بحياتهم اليومية ومشاركتهم نشاطاتهم وآمالهم وافراحهم واعمالهم، وكما أسلفنا سابقاً إن ممارسة أحد الأدوار الاجتماعية مع تلك الجماعة هو ضمان الباحث او المراقب الجيد لتفسير السلوك القائم من خلال بقائه لمدة زمنية تساعده على التعرف على الجماعة. على سبيل المثال ما يحدث في الأسواق الشعبية من اطلاق بعض الكلمات التشبيهية لبضائعهم بغية جذب المشترين، او بعض الرموز التي يطلقها المسجونيين الخاصة بينهم في (الإصلاحية) وكذلك الممارسات والحركات التي يمارسونها الشرطة في ما بينهم اثناء تأدية الواجب اتجاه الموقوفين وكذلك اطلاق بعض الالفاظ او الحركات؛ كل هذه السلوكيات ليس من السهل معرفتها او معرفة ما يقصد سالكوها ان كانت ضمن دائرة البحث، دون الغوص والعمل الدؤوب واليومي الذي يجعل من المراقب إن اقتضى الامر ان يكون مسجوناً او شرطياً او بائعاً في السوق او موظفاً في احدى الدوائر او حتى سائلاً على ارصفة الطريق، وهذا لا يمكن ممارسته دون الركون الى المشاهدة الأولى لميدان البحث او دائرة المراقب لكي يتم برمجة موقعه او تحديد المكان المناسب له عن طريق جمع المعلومات الأولية التي تؤهله لممارسة عمله بأريحية، مع الحذر من جذب الانتباه للوهلة الأولى.

ويصر العلم ايرفنج جوفمان (Erving Goffman) (١٩٢٢-١٩٨٢م) وبقوة على ان البحث الميداني يعني: " اخضاع نفسك، وبدنك، وشخصيتك، ووضعك الاجتماعي، لمجموعة الظروف والملابسات، التي تؤثر في حياة مجموعة من الافراد، بحيث يصبح بوسعك ان تنفذ جسدياً وايكولوجياً (بيئياً) الى نطاق استجابتهم لوضعهم الاجتماعي، او أوضاع عملهم، او وضعهم السلالي" ومن ثم، فإن الانغماس يعني امرين في البحث الميداني: **هما ان تكون مع الناس الاخرين لترى كيف يستجيبون للأحداث لحظة وقوعها، وان يعايش الباحث بنفسه هذه الاحداث والظروف التي تؤدي الى حدوثها.** وقد تتطلب المشاركة حتماً درجة ما من إعادة

التنشئة*. فالباحث الميداني عندما يشاركهم انشطتهم المنظمة، ويشعر بالالتزام بقواعدهم الأخلاقية بإيجابية في امورهم يوماً بيوم سيكون ملاحظاً جيداً وإلا يكون الانغماس الاثنوجرافي سلبياً منفصلاً عن الناس (إيمرسون، فريتز، و شو، ٢٠١٠، صفحة ٥٤).

في كتاب **(مستشفيات الامراض العقلية)** لجوفمان الذي يعتمد فيه عن دراسته لنزلاء المصحات العقلية، اكد على أهمية فهم العوالم التي يعيش فيها الافراد المبحوثون، عن طريق الغوص في عالمهم لذا يقول: **"كان هدفي المباشر قيامي بالعمل الميداني في مستشفى (سانت إليزابيث) ان أحاول الإحاطة بعالم النزيل الذي يُدركه، وبالصورة التي يعايش بها هذا النزيل ذلك العالم... وقد تكوّنت لَدَيّ فكرة في ذلك الوقت، ولازالت اؤمن بها، ان أي جماعة من الأشخاص – كسجناء او بدائيين او بحارة او مرضى – يطورون حياة خاصة بهم وحدهم بحيث تبدو من نظرك حياة ذات معنى، ومعقولة، ولازلت اعتقد بأنه من غير الممكن فهم تلك العوالم إلا من خلال تسليم المرء لنفسه لصحبة هؤلاء وعيش حياتهم اليومية الرتيبة".** (ببير و ليفي، ٢٠١١، صفحة ٣٩٧).

هنالك ربط بين الطريقة الاثنوجرافية وحقل الانثروبولوجيا وهو العلم الذي يُجرى فيه البحث على الثقافات الاجنبية للحصول على فهم العادات الاجتماعية والقيم والمنتجات المختلفة للسكان المحليين وبثقافتهم الشاملة. ومن امثلة ذلك دراسة بوث Booth للطبقة الدنيا في لندن **"حياة وعمل الناس في لندن"**.

المراقبة المتزنة وتدوين الملاحظات:

ان عملية التوازن في المراقبة للباحث او المراقِب ضرورية جداً وهي عملية استغراق وانفصال في آن معاً، أي استغراق في ثقافة المجتمع او الجماعة وانفصال لوقت او لحظة ما بعد ذلك بحسب الظروف واشتراطات العمل الميداني.

قد يكون السلوك متناقضاً وغير منطقي ظاهراً لكنه طبيعي لأفراد قد ارتبط سلوكهم ببعض القوانين التي فُرضت عليهم نتيجة عملهم، هذا يدل على ان بعض السلوكيات يكون الانسان فيها مجبراً على الالتزام بها نتيجة قانون معين او عمل معين من الصعب ان يفرط به، وهذا يكاد ان لا يكون في المجتمعات التقليدية إلا القليل وعادة ما يكثر هذا التناقض في المجتمعات الحضرية منها أكثر من التقليدية. فقد يفعل الانسان سلوكاً معيناً امام افراد قبيلته لكي يكون مقبولاً وهو في جنباته رافضاً لما فعله.

---

* – إعادة **التنشئة:** هي عملية تكيف الملاحظ الميداني المقيم في مجتمع بحثه، حيث يتوجب عليه استيعاب معايير الجماعة التي سيعيش بينها وان يفهم خريطة الأدوار الاجتماعية، ليعرف طبيعة دوره، وما يرتبط به من وظائف وتوقعات، وهذه التنشئة هي شبيهة بإعادة تعلم المعايير والجزاءات الثقافية عن العودة الى النظام الاجتماعي من قبل أولئك الذي تركوا هذا النظام طوعاً او كرهاً "مثل المسجونين الخارجين الى الحياة العادية، العائدين من سفر خارجي" لكي يمكنهم ان يصبحوا مقبولين مرة أخرى بصورة كاملة داخل النظام الاجتماعي. (إيمرسون، فريتز، و شو، ٢٠١٠، صفحة ٥٤).

وعادة يتعرض الباحث الذي يستخدم الملاحظة المشاركة ويتبع الطريقة السرية في اجراء المراقبة الى الشعور بالقلق ويسيطر عليه الخوف، كما انه يتقيد بأماكن خاصة توفر له سرية الملاحظة، وتتقيد بذلك حرية حركته والتنقل، مما يفرض عليه ملاحظة مواقف محدده دون الأخرى، بينما اتباع أسلوب الصراحة والوضوح في اجراء الملاحظة بالمشاركة، يستطيع الباحث ان يجمع معلوماته بحرية، وان يتخطى الحدود المفروضة على كثير من التنظيمات والجماعات، وان يصبح عضواً ضمن هذه الجماعة ويمارس معهم انشطتهم ويتفاعل معهم، ما يساعده على تحقيق الغرض من الملاحظة (الغامري، ١٩٩٤، الصفحات ١١٧-١١٩). وهنا يبقى موضوعة السرية في جمع المعلومات يحدده الباحث او المراقب تبعاً للظروف والمواقف التي تتطلب ذلك.

إن مهمة الاثنوجرافي هي الكشف عن المعاني الكامنة في صدور المبحوثين ووصفها. لذا يكون هدف الملاحظة بالمشاركة هو الأقرب من المبحوثين او (المراقَبين)، باعتبار ذلك السبيل لفهم ما تعنيه لهم خبراتهم وانشطتهم. فعلى الاثنوجرافي ان يحاول كتابة المذكرات الميدانية على نحو يبلور ويحافظ على المعاني لدى المبحوثين. لذا عليه ان يتعلم كيف ينتبه ويقلل الركون الى التصورات المسبقة عن حياة المبحوثين وانشطتهم. وعليه ان يستجيب لكل ما يراه الآخرين مهماً وعزيزاً من وجهة نظرهم هم. وهكذا نتبين ان المذكرات الميدانية هي وصف مدون ينقل إلينا خبرات افراد الجماعة واهتماماتهم من خلال عيني الباحث ورؤيته الخاصة. بمعنى اخر ان المذكرات تعرض علينا رؤية الباحث –وليس المبحوثين –لخبرات أولئك المبحوثين وما يدور في صدورهم من معان واهتمامات (إيمرسون، فريتز، و شو، ٢٠١٠، صفحة ٧٣).

لا يمكن ان يكتفي المراقب بكتابة الملاحظات عن الحوادث الميدانية التي "تحصل بصورة طبيعية" ويتحدث عنها كما جرت لان ذلك سيكون تقريراً مبنياً على ما لاحظوه بأنفسهم، ويستبعد ما لم يلاحظوه، يؤكد روجر جوم Roger Gomm على أهمية المقابلة الكيفية اثناء عملية الملاحظة لذا يقول: **ان الهدف الأول للبحث هو اكتشاف ما هي طرائق الفهم، لهذا يرى العديد من الباحثين ان من الحكمة دمج الملاحظة القريبة من الطبيعة مع المقابلات الكيفية. يلاحظ الناس لكي يروا ما يفعلون، يقابلونهم ليكتشفوا سبب ما يفعلون. وهذا حيث يكون الجواب عن السؤال "لماذا" على أساس المعنى، و"المعنى" يعني ما الذي كان يدور في ذهن الشخص او الافراد حتى يفعلوا ما فعلوه، بمعنى ان المقابلات يجب ان تكون قبل المحادثات "قريباً من الطبيعي Naturalistic أي على صورة علاقة صداقة"** (جوم، ٢٠١١، صفحة ٣٣٢). بهذا نصل الى رؤية الافراد من الداخل "رؤيتهم الى عالمهم" من وجهة نظرهم لكي يصل الباحث الى التفسير عن طريق فهم المعنى الذي يخضعونه على افعالهم او سلوكياتهم عامةً.

أكد روجر Roger على ان رؤية الحوادث من الخارج لا تقل أهمية عن سابقتها فقد أكد الكثير من الباحثين عن ان دراسة مجتمعهم الخاص يكون أصعب من ملاحظة مجتمع غريب عنهم. لا يعلم الافراد

عن الكثير من النشاطات الاجتماعية، كيف يقومون بها ولا يلاحظون ما الذي فعلوه لدى القيام بها. لهذا يقال غالباً عن عملية الملاحظة بالمشاركة، ان مراحل التعلم الأولى ليصبح الفرد عضواً هي المراحل المهمة ما يقوم به ذوو الخبرة من الافراد من التفكير به يبدو غريباً وصعباً في نظر القادم الجديد. ولكونه غريباً وصعباً يُلفت الانتباه (جوم، ٢٠١١، الصفحات ٣٣٤-٣٣٥).

لذا على الملاحظ ان يصبح عضواً قريب من الافراد موضع البحث، لان الافراد ذوو الخبرة من النوع الذين يقبلون الأشياء على وضعها او أمور مفروغ منها، بينما يجب ان يراها المراقبون اموراً غريبة ومحيرة. يفضل وضع الناظر من الخارج من قبل أولئك الذين يرون انه من المهم دراسة الحوادث التي تقع بصورة طبيعية، وان الأشخاص المعنيين لن يستطيعوا هم أنفسهم تقديم المعلومات من اجل تفسير كاف ويفي بالغرض.

الأخباريون:

يتوقف نجاح الملاحظة الميدانية الى حد ما على حسن اختيار الاخباريين ومدى التعاون مع المراقِب، لانهم يمثلون حلقة الوصل بين الملاحظ والمجتمع طوال فترة المراقبة، وهناك اخباريون عاديون يستمد الباحث منهم البيانات خلال المقابلات حول بعض المعلومات ولكن لا يمثلون بالنسبة للملاحظ مصدراً اساسياً في عملية جمع البيانات، وهناك اخباريون رئيسيون يحتلون مراكز اجتماعية هامة، او يقومون بأدوار حيوية في الحياة الاجتماعية، او يتمتعون بثروة من المعلومات حول احدى المجالات الثقافية التي تهم الباحث. وقد يميل الباحث الى اخباري دون اخر ولكن عليه ان لا يُبيّن ذلك وخاصة امام الاخباريين الرئيسيين، لان ذلك من شأنه ان يهدم كل الثقة التي تَعِبَ الملاحظ في بنائها (ابراهيم و الشنواني، ١٩٨٨، صفحة ٤٩٢).

وقد عرف الدكتور سليم المخبر بانه: شخص يعاون الدارس الميداني بالإجابة عن أسئلة، وبتقديم معلومات (اثنوجرافية) مفصلة، عن المجتمع الذي يدرسه، تشمل مختلف مظاهر حياته ونظمه، ويناقش الدارس حولها لاستجلاء ما يصعب عليه فهمه من حقائق غامضة تتعلق بها، ويتخذ الدارس الميداني أكثر من مخبر واحد، ليستفيد من تنوع خبراتهم وتخصصاتهم، وليحصل على وجهات نظر مختلفة حول الحقائق عينها. ويشترط المخبر ان يكون ذا خبرة ومعرفة واسعة، ومتخصصاً في موضوع بعينه، كالتحكيم، او حفظ التاريخ التقليدي، او رواية الادب الشعبي، او السحر، او الطب المحلي، او الصناعة التقليدية، وما ماثل ذلك (سليم، ١٩٨١، صفحة ٤٩٢). الاخباري ضرورة من ضرورات العمل الميداني، إضافة الى أهمية موقعه بين المراقب والجماعة المستهدفة، لابد من الاهتمام بالمعلومات المأخوذة عنه، ومعرفة ما يبقى تفسيره مبهم اما الباحث، فقد يكون هنالك معنى معروف لدى الباحث يُقصد به تفسيراً غيره، قد تكون حركة جسد، او رمزاً معيناً... جميع هذه الاستفهامات لابد للملاحظ الدقيق ان يتداول مع الاخباري لمعرفة المعنى الحقيقي لها، ولاسيما ان كانت المعلومة تُعتبر مصدر رئيس للمراقب.

مقاربة

تُشكل الاستقصاءات الانية والاثنروبولوجية جزءاً من المناهج التي تُطبقها "العلوم الإنسانية" فهي جزء مكمل لشكل النشاط الكوني بالقوة، والذي هو العلم، يتوازى ذلك مع علوم الطبيعة. إلا ان الظروف التاريخية التي ظهرت فيها وعدم التوازن الذي ظهر من خلال الممارسات (بين المراقِب والمُراقَب"، بين الأوربي الذي يقوم بالاستقصاء، والشعوب المحلية – الاهلية) قد قادت الى ردات فعل والى رفض، وبالتالي فقد كانوا يجدون صعوبة في العمل الحقلي (على الأرض)، وبما ان اقامتهم وسط المجتمعات التي يريدون دراستها قد امتدت لسنوات طويلة ومع تقديرهم وحبهم لهذه المجتمعات فهم قد يُعتَبرون احياناً جواسيس، فيؤخذون رهائن او يُقتلون كـ(ميشال سورا في لبنان)، إلا ان المجتمعات كلها لا تتشابه في ردات فعلها وبالتالي علينا الدخول بشيء من التفاصيل (ليكلرك، العولمة الثقافية، ٢٠٠٤، الصفحات ٣٥٥-٣٥٦).

في فرنسا انطلقت الانثروبولوجيا الميدانية من مبادرة بعض الحكام الذين رغبوا في معرفة "الشعوب" الخاضعة لسيطرتهم معرفة صحيحة. والدور الحاسم في ذلك يرقى الى كلوزل Cluzel حاكم افريقيا الغربية في بداية القرن الماضي، الذي أوجد عام ١٩١٥م لجنة الدراسات التاريخية والعلمية لأفريقيا الغربية الفرنسية، والذي طلب من مساعديه ادارتها بطريقة مفصلة بالمعلومات عن أنظمة القضاء السوداني، وهنا تَطلبَ دراسات وصفية موسعة للبنى القيادية التي تتدخل السياسي التي لا يشكل دولة واضحة. وقد انتجت هذه الدراسات نتائج عملية مباشرة؛ فالمناطق التي ظلت فيها الإدارة المباشرة مطبقة خاصة في المحاكم، قد شهدت تمرداً، سرعان ما اكتشف الانثروبولوجيون سببه، وهو عدم الاستفادة من هذه المحاكم التي حلت مكان المجالس القبلية المحلية للثقافة المحلية. هكذا ادرك لوغان ضرورة اجراء دراسات ميدانية. (والخطوة الأولى تتمثل بإجاد رجل صاحب تأثير وجعله قائداً، لإخضاع باقي القرى والاقاليم لسلطته، ثم افهامه عن كيفية مد سيطرته. هذا الى جانب افهامه معنى المسؤولية ومعنى السلطة Amalgation Report (ليكلرك، الانثروبولوجيا والاستعمار، ١٩٩٥، الصفحات ٤٩-٥١) مما تقد أعلاه يتوضح لنا ان عملية الاثنوجرافيا كانت مكيفة نحو جمع المعلومات من المجتمعات المستعمرة آنذاك، عن طريق علم الانثروبولوجيا خلال الفترة الكولنيالية*، فقد وفرت تلك الدول الاستعمارية كل مجهودها الفكرية، واستغلال العلوم الإنسانية، وانتهاز فرصة بساطة الشعوب التقليدية، لا لأجل النهوض بها؛ بل للتوسعة الاستعمارية، واستغلال مقدرات تلك الشعوب الاقتصادية ونهب خيراتها.

* - الاستعمارية Colonialism استعمار دولة حق السيادة على إقليم خارج حدود أراضيها، فيفقد بذلك كيانه الخاص وشخصيته الدولية ويتبع ذلك السيطرة على كافة شؤونه والحصول على كل المزايا الاقتصادية التي تطمع فيها الدولة المستعمرة بشكل مجحف للإقليم الواقع تحت سيطرتها. (بدوي ا.، ١٩٨٦، صفحة ٧٠).

ما نحاول التأكيد عليه هو عملية جمع المعلومات عن اشخاص بعينهم، او جماعة، او مجتمع، لا يختلف عما تقوم به بعض الحكومات في الوقت الحاضر ، بداعي حفظ الامن القومي، عن موضوعة الانثروبولوجيا ومنهجية الاثنوجرافيا في بداياتها إلا في موضوعة الهدف، فهي مختلفة من مؤسسة الى أخرى.

ويتمثل مهام عمل هذه المنظمات الحكومية الرئيسية في جمع وتحليل المعلومات ذات الصلة بالأمن القومي ونشرها لصناع القرار. وتتعلق هذه المعلومات أساسا بما يمثل تهديدا للأمن القومي، مثل الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل والتجسس من قبل الدول المعادية. في معظم الدول الديمقراطية، يتم تنفيذ هذه المهام من قبل جهاز استخبارات متخصص. ومع ذلك، هناك بعض البلدان توكل القيام بهذه المهام لهيئة من هيئات الشرطة. كثيرا ما تسمح الدول لأجهزة استخباراتها بالعمل حصريا داخل أو خارج حدود الدولة، وبالتبعية، قد يكون لدى الدول أجهزة استخبارات مختلفة للعمل داخل وخارج الحدود الوطنية. وهناك دول أخرى تكلف جهاز استخبارات واحد بالعمل داخل وخارج حدود البلد (مركز جنيف للرقابة الديمقراطية ، ٢٠١٠، صفحة ١١)

فدواعي المراقبة تُستعمل لمصالح الامن المحلي اذ ان تَلقّي المراقِبين معلومات بمختلف الطرق والوسائل خبر او مكالمة هاتفية، كالتمويه عن الأنشطة الحقيقية لبعض العصابات الاجرامية او مجموعات إرهابية، او وجود نشاط اجرامي كالمتاجرة بالمخدرات، او أي مخطط اجرامي جنائي او إرهابي من شأنه ان يخل بأمن الدولة، لذا فإن المراقبة الأمنية هي الادق والاقرب الى منهج الاثنوجرافيا والملاحظة بالمشاركة.

اما ما يحدث في الملاحظة الاثنوجرافية فهي مقدمة لدراسة مجتمع معين او جماعة ما، وقد تكون لجماعة ما نشاط اجرامي نستطيع ان نعتبر الملاحظة هي عمل شمولي للمراقبة المقصودة والمستهدفة لشخص او لعدة اشخاص (جماعة) بعينهم، لكن تبقى مسألة ان هؤلاء الافراد المستهدفون من الصعب ملاحظتهم دون كشف المراقِب، لكن لو تمت ملاحظة تجمعاتهم داخل مجتمعهم الذي يعيشون ومعايشة تلك المجتمعات؛ هنا من الممكن الوصول الى أصول انتاج لتلك النشاطات الاجرامية "أي البذرة الأولى لتحركات الجريمة"، ومن ثم يمكن عدم الكشف عن المراقِب اذا كان عضواً مزروعاً في هذه الجماعة او تلك للكشف عن خفاياها ومخططاتها، وتعتبر عملية إنتاج الاستخبارات عملية متعددة الخطوات تتطلب جمع المعلومات تحديد المهمة والتخطيط والتحليل والنشر ، . وتبقى عملية جمع المعلومات على الاغلب من خلال الطرق السرية.

وقد تكلم هانس بورن Hans Born عن أسلوب جمع المعلومات بأن الاستخبارات تعتمد على المعلومات التي تُجمع من مصادر عدة. وبما انه ليس هنالك مصدر واحد يقدم معلومات كافية عن نشاط معين، تعتمد أجهزة الاستخبارات على مصادر متعددة للوصول إلى الصورة الافضل عن الأحداث.

ويتم تصنيف هذه المصادر بحسب النوع (مركز جنيف للرقابة الديمقراطية، ٢٠١٢، صفحة ٩٠):

- الاستخبارات البشرية HUMINT كالمخبرين.
- الاستخبارات الشارة SIGINT كالتنصت على الاتصالات والمراسلات.
- الاستخبارات المفتوحة المصدر OSINT كالتقارير العالمية.
- الاستخبارات التصويرية IMINT كالصور بالأقمار الصناعية.

يمكن ان تكون وسائل جمع المعلومات علنية او سرية. تُستخدم الوسائل العلنية عادة لجمع الاستخبارات المفتوحة المصدر لان تلك المعلومات تبقى علنية ومتاحة للجميع. أما وسائل جمع المعلومات السرية فتعتمد على السرية لجمع المعلومات حول الأهداف بغير علمها. ويمكن أن تشمل الوسائل السرية اللجوء إلى المخبرين والمراقبة الإلكترونية والتنصت على الاتصالات والمراسلات والإشراف الشخصي والصور المجموعة عن بعد. حين تُستخدم هذه الأساليب بطريقة تنتهك حق الفرد بالخصوصية تسمى "الأساليب التدخلية للتحقيق" وتُسمى التقنيات نفسها "إجراءات التحقيق الخاصة" أو " تقنيات التحقيق الخاصة".

عرف مجلس أوروبا تقنيات التحقيق الخاصة على أنها تقنيات تطبقها السلطات المعنية في سياق التحقيقات الجنائية بهدف الكشف والتحقيق في الجرائم الخطرة والمشتبه بهم، وذلك من اجل جمع المعلومات بطريقة لا تلفت نظر الأشخاص المستهدفين. وفي هذا السياق، تشير " السلطات المعنية " إما إلى أجهزة الاستخبارات أو وكالات تنفيذ القانون. وتجدر الإشارة إلى أنه في دول عدة تلجأ أجهزة الاستخبارات إلى هذه الإجراءات ليس في سياق التحقيقات الجنائية فحسب، بل أيضا في التحقيقات الوقائية والمرتبطة بالأمن القومي. وكمبدأ عام، يجب أن تستند الطريقة المستخدمة لجمع المعلومات على نوع المعلومات المطلوبة والهدف من جمعها والسياق التشغيلي والقانوني والسياسي الذي تعمل فيه أجهزة الاستخبارات (مركز جنيف للرقابة الديمقراطية، ٢٠١٢، صفحة ١٠٠).

إذا الملاحِظ (المراقِب) هو اللاعب الأساسي في عملية جمع المعلومات، ونقله للمعلومة أحادية النظرة لا تفي بالغرض، كما انها تعتبر معلومة منقوصة. فالمرجو من ذلك كله هو توسعة الأفق لدى "المراقِب" وتحمل ضغوطات العمل اثناء عملية الملاحظة اتجاه "المراقَب". فمتابعة المجرم الذكي تختلف عن متابعة المجرم البليد، وبالخصوص في الوقت الراهن، في ظل التطور التكنلوجي والمعرفي لدى الكثير من الناس والمعلومات الجاهزة عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي والانترنيت.

ان عملية تأهيل الملاحِظ وتطوير معرفته تجعل منه ذا نظرة ثلاثية الابعاد حول ما يدور في ذهن الاشخاص المستهدفون، فإن كان المرقِب في الأجهزة الأمنية على الاغلب يكون ناقلاً للحدث، او النشاط المستهدف، فإن الاثنوجرافيا تُفرض على الملاحِظ ان يكون ناقلاً للحدث ومشاركاً ببعض الاعمال اليومية، ومفسراً لما يحدث امامه. وان كان المرقِب، يحاول رصد نشاط جماعة معينة، ومحاولة الحد من هذا النشاط، فإن

الملاحِظ الاثنوجرافي في علم الانثروبولوجيا يحاول معرفة الكيفية التي ينهض فيها ذلك النشاط ومحاولة معرفة الجذور الرئيسة التي دفعت الفعل الاجرامي او الإرهابي، مما يُسَهّل معرفة طرق تفكيرهم ومخططاتهم إذا درست بيئتهم بدقة وعبر الملاحظة بالمشاركة.

النتائج:

١- تقارب بين الملاحظة الإثنوغرافية والمراقبة الأمنية :الملاحظة الإثنوغرافية والمراقبة الأمنية تتشابهان من حيث الهدف في جمع المعلومات وتحليلها. ومع ذلك، تختلفان في الغايات؛ إذ تسعى الإثنوغرافيا إلى تفسير الظواهر الاجتماعية وتحليلها، بينما تستهدف المراقبة الأمنية كشف الأنشطة التي تهدد الأمن المجتمعي.

٢- أهمية التعايش والانغماس في الميدان: يشير البحث إلى أهمية مشاركة الباحث في الحياة اليومية للجماعة المستهدفة لفهم طبيعة سلوكياتها. هذا التفاعل يقلل من احتمالية ردود الفعل السلبية تجاه الباحث ويزيد من دقة البيانات التي يتم جمعها.

٣- استراتيجيات متنوعة للملاحظة: يؤكد البحث على وجود نوعين رئيسيين للملاحظة: الملاحظة بالمشاركة، حيث ينغمس الباحث كجزء من المجتمع، والملاحظة من دون مشاركة، التي تعتمد على مراقبة الظواهر من مسافة دون التفاعل مع المجتمع. اختيار النوع يعتمد على طبيعة الميدان والهدف من الدراسة.

٤- التأثير النفسي والاجتماعي للملاحظة: المراقبة السرية والملاحظة بالمشاركة تتطلب إعداداً نفسياً واجتماعياً للمراقب أو الباحث. يجب أن يكون قادراً على التكيف مع الظروف المختلفة دون لفت الانتباه، مع الحرص على استخدام تقنيات تساعد في تسجيل البيانات بدقة وموضوعية.

٥- إمكانات تطبيق الإثنوغرافيا في السياقات الأمنية: يمكن استخدام أدوات الإثنوغرافيا لتحسين عمليات المراقبة الأمنية من خلال فهم أعمق للسلوكيات الثقافية والاجتماعية. هذا يتيح القدرة على توقع الأنشطة المشبوهة وتحليل البيئة الاجتماعية المحيطة بالمجرمين المحتملين.

٦- يشير البحث إلى أهمية الدراسات الوصفية الميدانية في فهم المجتمعات المحلية، المبحوثة داخل أي مجتمع سواء اكان المجتمع من المجتمعات المفتوحة او كان مجتمعاً مؤسسياً مغلقا كالمؤسسات الأمنية وغيرها.

المقترحات:

١- تصميم برامج تدريبية لرجال الأمن تركز على استخدام تقنيات الملاحظة بالمشاركة والملاحظة عن بعد لفهم الأنماط السلوكية والثقافية للجماعات المستهدفة.

٢- إدراج مناهج الإثنوغرافيا والأنثروبولوجيا في المناهج الأكاديمية والتدريبية لرجال الأمن لتوسيع مداركهم حول الديناميكيات الاجتماعية والسلوكيات الجماعية.

٣- توفير برامج دعم نفسي وتدريبات ميدانية متخصصة لمساعدة المراقبين على التكيف مع ظروف المراقبة الصعبة والتعامل بفعالية مع الضغوط.

٤- استخدام تقنيات تسجيل مبتكرة وخفية تضمن توثيقاً دقيقاً للسلوكيات دون التأثير على تصرفات الأفراد المستهدفين.

٥- تطوير آلية لتحديد نوع الملاحظة المناسب (بالمشاركة أو عن بعد) بناءً على حساسية المهمة وظروف الميدان.

٦- تشجيع المراقبين على الاندماج في الحياة اليومية للمجتمعات المستهدفة بطرق تقلل من كشف هويتهم وتزيد من دقة المعلومات.

٧- تحليل السياقات الاجتماعية والثقافية للنشاطات الإجرامية لفهم جذورها وتحركاتها، مما يسهل تصميم استراتيجيات استباقية للحد منها.

٨- اختيار مخبرين موثوقين ومؤهلين للتعاون مع المراقبين وتوفير رؤى دقيقة تعزز عملية جمع المعلومات.

٩- ضمان إعداد المراقبين لفهم أهمية السرية في جمع المعلومات والحفاظ عليها، خاصة في الحالات الحساسة.

١٠- إنشاء دليل عملي شامل يوضح خطوات وآليات المراقبة الناجحة، مستفيداً من أفضل الممارسات في الإثنوغرافيا والمراقبة الأمنية.

المراجع

١. ابي الفضل جمال الدين محمد ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب (المجلد الرابع). القاهرة.

٢. احمد زكي بدوي. (١٩٨٦). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (المجلد ٢). بيروت: مكتبة لبنان.

٣. جامبيترو جوبو. (٢٠١٤). اجراء البحث الاثنوجرافي (المجلد الطبعة الاولى). (محمد رشدي، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.

٤. جان فرانسوا دورتيه. (٢٠٠٩). معجم العلوم الانسانية (المجلد الطبعة الاولى). (جورج كتورة، المترجمون) ابو ظبي: كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

٥. جون سكوت. (٢٠١٢). خمسون عالماً اجتماعياً اساسياً المنظرون المؤسسون (المجلد الطبعة الاولى). (رشا جمال، المترجمون) بيروت، لبنان: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

٦. جيرار ليكلرك. (١٩٩٥). الانثروبولوجيا والاستعمار (المجلد ٢). (جورج كتورة، المترجمون) بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٧. جيرار ليكلرك. (٢٠٠٤). العولمة الثقافية (المجلد ١). (جورج كتورة، المترجمون) بيروت: دار الكتاب الجديد.

٨. ربحي عليان، و عثمان محمد غنيم. (٢٠٠٠). مناعج البحث العلمي النظرية والتطبيق (المجلد ١). عمان: دار صفاء للنشرو التوزيع.

٩. رجاء حميد بدوي. (٢٠٠٠). البحث العلمي اساسياتالنظرية وممارسة التطبيق. القاهرة: دار الفكر المعاصر.

١٠. روبرت إيمرسون، راشيل فريتز، و لندا شو. (٢٠١٠). البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية (المجلد ١). (هناء الجوهري، المترجمون) مصر: المركز القومي للتجمة.

١١. روجر جوم. (٢٠١١). مناهج البحث الاجماعي مقدمة نقدية (المجلد ١). (اديب يوسف، المترجمون) دمشق، سوريا: الهيئة العامة السورية.

١٢. سلطان جري غزاي العتبي. (٢٠٠٧). مدى فعالية التدريب في تنمية المهارات الخاصة بالمراقبة الامنية (المجلد رسالة ماجستير). الرياض، السعودية: جامعة نايف للعلوم الامنية.

١٣. سيف الاسلام سعد عمر. (٢٠٠٩). الموجز في منهج البحث العلمي في التربية والعلوم الانسانية (المجلد ١). دمشق، سوريا: دار الفكر.

١٤. شارلوت سيمور. (٢٠٠٩). موسوعة علم الانسان (المجلد بلا). (مجموعة اساتذة في علم الاجتماع، المترجمون) مصر: المشروع القومي للترجمة.

١٥. شارلين هس بيبر، و باتريشا ليفي. (٢٠١١). البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية (المجلد الطبعة الاولى). (هناء الجوهري، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

١٦. شاكر مصطفى سليم. (١٩٨١). قاموس الانثروبولوجيا (المجلد الطبعة الاولى). الكويت: جامعة الكويت.

١٧. علي عبد الرحمن المالكي. (٢٠١٦). مدرسة شيكاغو ونشأة سيسيولوجيا التحضر والهجرة (المجلد ط١). زنقة علي بن ابي طالب، الدار البيضاء: افريقيا الشرق.

١٨. فتحية محمد ابراهيم، و مصطفى حمدي الشنواني. (١٩٨٨). مدخل الى منلهج البحث في علم الانسان (المجلد ١). الرياض: دار المريخ للنشر.

١٩. فيليب لابورت. (٢٠٠٤). اثنولوجيا وانثروبولجيا (المجلد الطبعة الاولى). (مصباح الصمد، المترجمون) بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٢٠. كريغ كلاهون. (٢٠١٢). معجم العلوم الاجتماعية. (معين رومية، المترجمون) بيروت: المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات.

٢١. مادلين غراوتيز. (١٩٩٣). مناهج العلوم الاجتماعية (المجلد ١). (سالم عمار، المترجمون) دمشق، سوريا.

٢٢. ماهر سيد احمد. (٢٠١٦). تحريات الشرطة والحرية الشخصية في ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة. القاهرة، مصر.

٢٣. مجموعة باحثون. (نصف شهرية مارس, ٢٠١٨). الملاحظة. المجلة العربية للدراسات الانثروبولوجية، العدد السابع.

٢٤. محمد حسن الغامري. (١٩٩٤). المناهج الانثروبولوجية. الاسكندرية: المركز العربي للنشر والتوزيع.

٢٥. محمد عبيدات، محمد ابو نصار، و عقلة مبيضين. (١٩٩٩). منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات (المجلد ٢). عمان: دار وائل.

٢٦. مركز جنيف للرقابة الديمقراطية . (٢٠١٠). فهم الاشراف على اجهزة الاستخبارات. (ايدن ويلز، المحرر، و محمود السيد، المترجمون) جنيف: مركز جنيف للرقابة الديمقراطية على القوات المسلحة في افريقيا DCAF.

٢٧. مركز جنيف للرقابة الديمقراطية. (٢٠١٢). الاشراف على اجهزة الاستخبارات. (هانس بورن، و ايدان ويلز، المحررون) جنيف، سويسرا: مركز جنيف للرقابة الديمقراطية على القوات المسلحة في افريقيا DCAF.

٢٨. مروان عبد المجيد ابراهيم. (٢٠٠٠). أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية. الاردن: مؤسسة الوراق.